جدل الهوية الأنثوية في الكتابة النسوية المعاصرة

الدكتورة ريمة لعواس، جامعة الجيلالي بونعامة- خميس مليانة- الجزائر

1.مقدمة:

لا يخفى على أحد من الدارسين أن الكاتبات منذ دخولهن ميدان الكتابة الأدبية يسعين إلى تحقيق هدفهن الأسمى والمتمثل في إثبات ذواتهن ووجودهن الأنثوي، حيث عملن على استثمار كل طاقاتهن اللغوية والإبداعية من أجل تحقيق هوية نصية، تؤكد هويته الجنسية الأنثوية. لذا جاءت هذه الورقة لتبحث في تجليات الهوية الأنثوية في النصوص الروائية النسوية، ومن جهة اخرى الكشف عن أساليب بناء هذه الهوية الأنثوية، من خلال دراسة نماذج روائية كرواية: "أنا لست رجلا" لربيحة حدور، و"عليها ثلاثة عشر" لأمل بوشارب، و"عرش معشق" لربيعة جلطي، و مدى تمكن هذه النصوص الروائية من إثبات الهوية الأنثوية.

لهذا اقتضت الدراسة الإجابة على جملة من الإشكاليات منها: كيف تجلت الهوية الأنثوية في هذه الروايات؟وماهي أساليب بناء الهوية الأنثوية من خلال هذه النصوص الروائية؟ وهل استطاعت الكاتبات إثبات الهوية الأنثوية داخل ضمن هذه النصوص الروائية؟،وللإجابة عن هذه الإشكاليات حاولنا الاستفادة من نظريات النقد النسوي من جهة ، والاستعانة بآليات القراءة النقدية الثقافية من جهة أخرى.

2.مفهوم الهوية الأنثوية:(IDENTITE FEMININE)

تجمع مختلف الدراسات النقدية النسوية والدراسات النقدية الثقافية عموما أن الانوثة هي« مجموعة من القواعد التي تحكم سلوك المرأة ومظهرها، وغاية القصد منها جعل المرأة تتمثل لتصورات الرجل عن الجاذبية الجنسية المثالية، فالأنوثة بحسب هذا التعريف نوع من التنكر الذي يخفي الطبيعة الحقيقية للمرأة، ولذلك فهي أمر مفروض على ذات المرأة »[1]،ولتحقيق هذا شجعت رائدات الحركة النسوية التحررية المرأة على فعل الكتابة على الشاكلة التي تسمح لها بالإعلاء من ذاتيتها وإبراز هويتها الأنثوية، من خلال الكتابة بطريقة مغايرة لما يكتبه الرجل من أجل زعزعة مركزيته الأبوية ومنافسته في كل المجالات.

([1]) عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، ج2، دط، 2008، ص252.

وفي هذا السياق نستحضر دعوة **بيتي فريدان** [2]**BETTY FRIDAN إلى** إعادة تصحيح الصورة النمطية للأنوثة في العرف الاجتماعي، من خلال تفعيل عنصر الأنوثة داخل النص، لأن هذا من شأنه أن يسمح لها بالوصول إلى النضج الفكري الذي بدوره يؤهلها إلى تحقيق الهوية، وكثيرا ما نجد **بيتي فريدان** تستعمل في دعواتها التحررية مصطلح "السحر الأنثوي"، لأن الأنوثة في نظرها غامضة وغريزية وقريبة جدا من خلق الحياة وأصلها إلى درجة أن العلم الذي صنعه الرجل قد لا يستطيع أبدا فهمها، والخطأ الذي وقعت فيه المرأة في الماضي حسب رأيها أنها كانت تحسد الرجل محاولة أن تكون مثله بدلا من تقبلها طبيعتها[3].

ومن الروايات العربيات اللواتي استجبن لمثل هذه الدعوات التحررية نذكر منهن: فضيلة الفاروق(تاء الخجل)،و زهور كرام(قلادة القرنفل)، وآمال مختار(نخب الحياة)، ومسعودة بوبكر(ليلة الغياب)،و ليلى الأطرش(صهيل المسافات)، وحنان الشيخ(مسك الغزال)، ورجاء عبد الله الصانع(بنات الرياض)، وعلوية صبح(دنيا)، وعلياء التابعي(زهرة الصبار)، وفتيحة مورشيد(الملهمات)، وفوزية شلابي(رجل لرواية واحدة)، و فوزية شويش السالم(حجر على حجر)، و نتيلة التباينية(طريق النسيان)...إلخ،

سعت كاتبات هذه النصوص المذكورة إلى الحديث عن قضايا المرأة من وجهة نظر ثقافية تسعى إلى النبش في مشكلة الصراع القائم بين الذكورة والأنوثة في مختلف مجالات الحياة(الأسرة، العمل، المجتمع، الزواج، الحب...)، وقد عملن لأجل هذا على تطوير أساليبهن لتقويض الحكم الذكوري الذي يتغذى على العادات والمعتقدات الراسخة في ذهنية المجتمع، فحاولن إيجاد الهوية الخاصة بهن من خلال الخوض في مجال الكتابة التي احتكرها الرجل ردحا من الزمن، متسلحات بخصوصيتهن الإبداعية التي منحتهن القدرة على اختراق حدود الطابوهات، فاشتغلت المرأة الكاتبة على حد رأي

([2])كاتبة وناشطة نسوية أمريكية، تعتبر شخصية بارزة في الحركة النسوية في الولايات المتحدة، يرجع إليها فضل في إشعال موجة النسوية الأمريكية الثانية في القرن العشرين من خلال كتابها "اللغز الأنثوي".

([3]) ينظر، سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية، ترجمة: أحمد الشايب، مجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، دط، 2002، ص65.

هلين سيكسوس HEİENE CIXOUS[4] على الفجوات والمسكوت عنه، واللاممثل في الخطاب الذكوري[5].

وتكشف القراءة الثقافية لما جاءت به مجموع هذه الروايات أنها تعود لكاتبات تغذي مادتها الروائية من الفكر النسوي الفرنسي الذي يعمل على وصل الكتابة الأنثوية بمفهوم الهوية الأنثوية والذات الأنثوية، « فمن الضروري في النسوية الفرنسية أن تكرس المرأة كتابتها لذاتها الأنثوية، فتجعل منها بؤرة ملهمة، وذلك يقتضي اختيار لغة خاصة تعتمدها في تمثيل نفسها، والاهتمام بالهوية الأنثوية وبالكتابة الأنثوية، لا يقصد منهما تركيز الاهتمام على الأنثى فحسب، إنما فضلا عن ذلك زحزحة الهيمنة الذكورية المتغلغلة في الثنائيات المتضادة السائدة: الرجل/ المرأة، العقل/العاطفة، القوة /الضعف، إذ تضفي الثقافة السائدة قيمة أعلى على الطرف الأول من تلك الثنائية وتخفض أهمية الطرف الثاني »[6]، وعليه فإن تقويض هذه الثنائيات سيمكن المرأة من صياغة الهوية النسوية، وتحقيق وجودها الأنثوي باعتبارهما الهدف الأساس من ممارسة فعل الكتابة.

وبناء على هذا الطرح نصل إلى أن المرأة تشكل الموضوع الأساس والقضية المحورية التي تدور حولها باقي التيمات الحكائية داخل النص النسوي، « كون المرأة تكتب عن موضوع لصيق بها، ويشكل محور كينونتها، كيف تفكّر، وكيف تحسّ، وما ينتابها من شعور باليأس والإحباط، أو الرضا والحبور، عندما تصدم بسلوك معيّن... وما تطمح إليه من آمال وما ترغب في تحقيقه لذاتها، ولبني جلدتها»[7]، لذلك نجدها في نصوصها قد عكفت على إثارة سؤال الهوية، وسعت للإجابة عليه عبر رصد أفكار الذات وأفعالها، فالهوية بما أنها تتحقق من خلال الصيغة الثقافية التي تتشكل وتتمظهر من خلال اللغة، فإن اللغة هي الهوية لا كواقع متحقق، بل كإمكانية وجود، أي هوية في مستوى الممكن[8]

3.بناء الهوية الأنثوية في الكتابات النسوية المعاصرة:

([4]) ناقدة، وكاتبة، وشاعرة، وفيلسوفة فرنسية، اشتهرت سيكسوس بمقالتها " The Laugh of the Medusa" (ضحكة ميدوسا)، والتي جعلتها واحدة من المفكرين الأوائل في النظرية النسوية ما بعد البنيوية، كما أسّست أول مركز للدراسات النسوية في إحدى الجامعات الأوروبية.

([5]) ينظر، شرين أبو النجا، نسائي أم نسوي، منشورات مكتبة الأسرة، القاهرة، ط1، 2002، ص09.

([6]) عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، ج2، ص250.

([7]) محمد معتصم، المرأة والسرد، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 2004، ص 235.

([8]) ينظر، أحمد حيدر، إعادة إنتاج الهوية (دراسات فكرية)، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1997، ص137.

1.3.خاصية التذويت:

بما أن المرأة تسعى دائما إلى إثبات هويتها للآخر والإعلاء من ذاتيتها الأنثوية ،فإنها كثيرا ما تأتي نصوصها مشبعة بـ"الذات" ذات "الأنا" ذات "الهي"، ذات الهنّ، « فحين تقتحم المرأة مجال الكتابة فإنها تغير سؤال هويتها من (موضوع) إلى (فاعل)، من (متابعة) إلى (منتجة)، وهو تحوّل يُفعِّل في أسئلة الكتابة، كما يؤسس أسئلة جديدة للقراءة من حيث الدعوة إلى الإصغاء إلى خطاب المرأة (الذات)»[9]، وهو ما يسمى نقديا بخطاب التذويت.

يعمل ضمير المتكلم "أنا" في النصوص النسوية بدعم الفكر النسوي داخلها حيث يُموضع شخصية المرأة في مركز النص، ليقوم بمهمة طرح قضايا المرأة المصيرية، وتكون بذلك صوتا للنساء[10]، وهذا إذا سلمنا بأن المرأة أثناء فعل الكتابة تكون على وعي تام بأن الهوية التي تبحث عنها يمكن تحقيقها عبر فعل الكتابة، كتابة أنوثتها، وفكرها،وهنا نشير إلى أن «اكتساب هوية ثقافية بدأ حين قررت المرأة بعد نضالات طويلة امتلاك ضمير "أنا" الذي من خلاله تمكنت من الإفصاح عن ذاتها ولم تعد بحاجة للرجل حتى يعبر عنها »[11]، خاصة وأن المرأة كانت « خلال عصور طويلة وما تزال تعاني من القلق على هويتها... وهذا ما يفسر كثرة "الأنا" في الكتابة النسوية كرد فعل على التشكيك الدائم الذي يحيط بوجودها »[12]،وقد تكون هذه الأنا المتكلمة في النص النسوي مرفوقة بشخصيات أنثوية أخرى تتناوب معها في الحكي، تحمل معها موقفها الإيديولوجي الخاص بها، كما تحمل معها لغتها الخاصة في سبيل تحقيق الهوية الأنثوية[13].

وعليه يمكن القول إن اعتماد المرأة ضمير الأنا/هي/هن في عملية سرد الأحداث الروائية مرده إلى أن هذا الضمير يُعبر عن هوية الذات الأنثوية المهمشة التي تحتل مراتب

([9]) زهور كرام، السرد النسائي العربي(مقاربة في المفهوم والخطاب)، شركة النشر والتوزيع –المدارس-، الدار البيضاء، ط1، 2004، ص 41.

([10]) Voir, Fadwa Malti Douglas, men, women, and god, nawel el-sadawi and arab feminist poétics, (california berkeley and los angeles: university of california press), 1995, p198.

([11])فاطمة كدو، الخطاب النسائي ولغة الاختلاف(مقاربة للأنساق الثقافية)، منشورات دار الأمان، الرباط، دط، 2014، ص130.

([12]) كارمن البستاني، الرواية النسوية الفرنسية(رونيه نيري بطلة "التائهة")، ترجمة: محمد علي مقلد، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع34، ربيع 1985، ص123.

([13]) ينظر، سيد محمد السيّد قطب وآخرون، في أدب المرأة، سلسلة أدبيات، الشركة المصرية العالمية للنشر –لونجمان-، مصر، ط1، 2000، ص136.

دنيا في المجتمع، مما يجعل المرأة في حاجة إلى امتلاك ذاتها والتعبير عنها بلسانها[14]، ومن هذا المنطلق فإن نزوع المرأة نحو خطاب التذويت إنما يكشف «عن العلاقة الوثيقة القائمة بين فعل الكتابة والهوية النسوية، وهو ما يفسر ظاهرة تضخيم "الأنا" في الأدب النسائي، إذْ عن طريقها تسعى المرأة الكاتبة إلى إثبات وجودها، والتأكيد على استقلال كيانها، والبرهنة على ما تمتلكه من قدرات فكرية، وجمالية، ومواهب هي ليست دون ما يمتلكه الرجل »[15].

وفي الحقيقة أن المرأة الكاتبة حين تجترح فعل الكتابة إنما تنطلق من قضية مركزية ذاتية أولا، ويمكن وصفها بالقضايا الشخصية اللصيقة بالذات الأنثوية، فالخصائص النوعية التي أضفتها المرأة على الكتابة السردية هي التذويت، ويقصد به تحويل المرأة الكاتبة الواقع إلى قضايا قريبة من الذات، بل تصبح القضايا الكبرى كقضية الحرية العامة أو الحرية الشخصية هما ذاتيا وهدفا من أهداف الكاتبة[16]،وانطلاقا من هذه القضايا الشخصية يمكن لها أن تحقق هويتها ووجودها الأنثوي في المجتمع، ويمكننا أن نستشف ذلك من نص سردي**لأمل بوشارب** تقول فيه:

"تابعات... وديعات... مطيعات... هكذا يريدوننا؟ لايهمنا...فنحن نريد أنفسنا قويات...واثقات... متحديات... نعم هكذا نريد أنفسنا... يريدون التميز بيننا... لا! يريدون السراويل لهم والتنانير لنا... لا! ... يريدون إقصاءنا من معادلة البشرية... لا! لا! وألف لا! قلن لكم بأعلى صوتكن أنكمن أنتن مالكات قراراتكن... أنتن مالكات أنفسكم... أنتن لا أحد غيركم"[17].

من خلال هذا المقطع السردي يتبين أن سبب ظهور شخصية المرأة المتحررة في النص النسوي، خاصة وأنها تسعى إلى بناء ذات أنثوية جديدة لا تخضع لمقاييس الثقافة الذكورية، لأن« الهوية هي الوجود الاجتماعي النشط الفعال المتجدد المبدع، هذه أصالته، وهكذا تزدهر الأنا الاجتماعية أو الهوية، ومع التطور الاجتماعي وتغيير الواقع

---

(14) ينظر، بوجمعة بوشوشة، الرواية النسائية التونسية (أسئلة التحول، الحداثة، والخصوصية)، مجلة الحياة الثقافية، تونس، ع145، 1 سبتمبر2008، ص54.

(15) بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية المغاربية، منشورات سعيدان، سوسة، دط، دت، ط1، 2003، ص54.

(16)ينظر، محمد معتصم، بناء الحكاية والشخصية في الرواية النسائية العربية المعاصرة، ص08، وينظر، ص 132.

(17) أمل بوشارب، علها ثلاثة عشر، منشورات الشهاب، الجزائر، ط1، 2014، ص34/33.

تنشأ ثقافة جديدة... صورة جديدة عن الذات والعالم »[18]، وهذا المعطى الثقافي الجديد يمكن استخلاصه من النصوص الروائية النسوية التي عمدت إلى توظيف شخوص نسائية متحررة من سلطة الرقيب الاجتماعي (المجتمع البطريركي)، و تجلى في ممارساتهن لنشاطات مختلفة عما كان يفرض على المرأة سالفا كدخول مجال العمل، والجلوس في المقاهي، وغيرها.

وعلى ما يبدو فإن المرأة باعتمادها خاصية التذويت في النص إنما تريد قلب أطراف المعادلة، حيث نجد تغييبا لصورة الرجل في مقابل الحضور البارز لشخصية المرأة، وهذا يعني أن المرأة« تضمر داخلها رغبة الهيمنة على العالم في صورة هيمنتها على النص، واحتلالها موقع الصدارة، في مقابل إرجاء الرجل وتأخيره عن هذا الموقع بنفيه من الوعي تارة، أو بنفيه من النص تارة أخرى »[19]، وعليه نقول إن النص النسوي الذي يشتغل على قضايا الهوية والذات والأنوثة بإمكانه الاستغناء عن الرجل في سرد الأحداث الروائية وفي تناميها، في حين لا يمكنه إلغاء حضور المرأة داخل النص، لأن لا أحد يمكنه ان يعبر عن قضايا ذات صلة حميمة بالذات الأنثوية مثلما تفعل المرأة.

2.3.كتابة الجسد:

يمثل الجسد الأنثوي تيمة حساسة داخل النص النسوي إلى درجة قد تصبح فيها بؤرة النص التي تدور حولها كل الأحداث السردية، ولا يخفى على أحد أن المرأة الكاتبة في وقتنا الراهن امتلكت قدرة هائلة في« إبراز معالم وخصوصيات الجسد المؤنث، بروح تعزز الاختلاف كشكل مميّز لإقرار الهوية الخاصة»[20]، وعليه يمكن القول إن الجسد من وجهة نظر المرأة الكاتبة يشكل مساحة قابلة تساعدها في تمثيل الأنوثة ومن ثم تمثيل الهوية الأنثوية.

فضلا عن هذا ،فإن الجسد الأنثوي في العرف النقدي يكتسب قيمة ثقافية كبرى بمقدورها أن تخلق التمايز بين الخطابين النسوي والرجالي، باعتبار أن « جسد المرأة بتكويناته ووظائفه المختلفة المقابلة لتكوينات جسد الرجل ووظائفه مدخلا

([18]) جلال شوقي، الفكر العربي وسوسيولوجيا الفشل، كتب عربية للنشر الإلكتروني، دط، دت، ص37.

([19]) سوسن ناجي، صورة الرجل في القصص النسائي، وكالة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1995، ص353.

([20]) ليلى محمد بلخير، خطاب المؤنث في الرواية الجزائرية، مؤسسة حسين راس الجبل للنشر والتوزيع، قسنطينة، دط، 2016، ص260.

لتوظيـف النقد النســوي، من خلال مقولات الجسد التي تدعو إلى إعادة قراءة الثقافة والإبداع على أساس إعادة القيمة إلى الجسد لا ابتذاله كما شاع في الثقافة ما قبل النسوية، من خلال تقديس الروح المنتمية إلى الهيمنة الذكورية وتأثيم الجسد المنتمي إلى الأنثى »[21]،ومن النصوص النسوية التي تعزز قيمة الجسد الأنثوي وتجعل منه مساحة لإبراز الأنوثة نذكر رواية انا لست رجلا لربيحة حدور جاء فيها:

"تأملها برهة ثم أشاح بصره عنها ربما اشتاق إلى رؤيتها في هيئة جميلة بذاك الكحل في عينيها التي سرقة من الأزرق وجوده، لطالما رآها جميلة حتى حين تمرض.. كان فستانها الذي اختارته أحمرا كما يشتهيه مغريا رغم بساطته، لا يظهر الفستان الكثير من جسها عدا ذراعيها...ألقت بجسدها في حضنه، كان هذا ما تحتاجه منذ زمن العودة إلى طفولتها، إلى شقاوتها وبراءتها، إلى أنوثتها الضعيفة فتغامر بإغضابه لترضيه بقبلة اشتاق فعلا إليها لكن الحب مع الألم مصيبة مكابرة"[22].

انطلاقا من هذا المشهد السردي لابد لنا من الاعتراف بأن حضور تيمة الجسد في النص النسوي يزيد من نقاط قوته، ذلك لأنه يعيد الاعتبار لإنسانية المرأة، التي تعتبر القيمة الأثمن التي تراهن عليها المرأة في نصها، ولأجل هذا تجعله منبعا لصياغة الرموز الجديدة التي ليس من السهل تفكيكها[23]، خاصة وأن الدافع الأسمى لممارسة فعل الكتابة عند المرأة وبالتحديد كتابة الجسد هو أن تكتب حكاية ذاتها، وحكاية جسدها ورغباتها الأنثوية نحو الآخر متسلحة في ذلك بأساليب لغوية متعددة كالمجاز والإقناع وغيرهما [24]، فهي دون شك تروم الى تقديم رؤيتها الأنثوية للعالم، إذ ترى أن مستوى الوعي والإدراك عند المرأة يبدأ من جسدها باعتباره حاملا لهويتها الأنثوية لتشق طريقها نحو إدراك عالم الذات[25].

([21]) حسين المناصرة، النسوية في الثقافة والإبداع، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2007، ص142.

([22]) ربيحة حدور، أنا لست رجلا، يوتوبيا للنشر والتوزيع، تيارت، الجزائر، ط1، 2020، ص35-37.

([23]) ينظر، محمد نور الدين أفاية، الهوية والاختلاف (في المرأة، الكتابة والهامش)، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 1988 ، ص45/44.

([24]) ينظر، الأخضر بن السائح، سرد المرأة وفعل الكتابة (دراسة نقدية في السرد وآليات البناء)، دار التنوير، الجزائر، دط، 2012، ص09.

([25]) ينظر، المرجع نفسه، ص170/169)

وعليه فإنه لا مراء في أن يكون الجسد هو العصب الحي للنص الروائي النسوي، وهو الذي يمد النص بالمؤشرات القابلة للتأويل المتعدد من خلال ما يمتلكه من فتنة وغواية، تسهم بشكل أو بآخر في تفجير الدلالات[26]، وهنا لا بد أن نقف عند مسألة مهمة مفادها أن النص النسوي الذي يتمتع بدرجة عالية من النضج إنما هو نص عرف كيف يستثمر تيمة الجسد من أجل بناء طاقة لغوية تفجر دلالات لا نهائية وتسمح مع كل قراءة بانسياب معنى جديد، بمعنى أن حضور الجسد في المتن الحكائي سيغدو عنصرا فعالا في العملية الإنتاجية، لأنها ستعمل دون شك على تفعيل عملية السرد وفي انسياب المعنى ليصبح النص وفق هذا التصور مسكنا تخييليا للجسد من خلاله يتحقق وجوده المتخيل [27].

3.3.هدم الخطابات الذكورية التقليدية:

يعتمد منطق السرد في الكتابات النسوية التي تعمل على إعادة بناء الذات الأنثوية على التفاعل المتشابك بين التخييل والجنوسة في ظل الهيمنة التي تسعى إلى امتلاك المرأة ذاتا وجسدا، بحيث يتمظهر هذا الأخير موقعا لصراع الصور (صورة الأنوثة/ صورة الذكورة)، فيُعرّي النص سياسات الهيمنة الذكورية في تشييدها للأنثى، بوصفها تلك "الهوية الآخرية" المزدوجة بحيث تكون في الآن نفسه موضوع رغبة وإهانة وعنف، [28]، ولأجل هذا يمكن القول أن جل الكتابات النسوية المتداولة اليوم في الساحة الأدبية والثقافية تنخرط بشكل أو بآخر ضمن الخطابات السردية التحريرية والتنويرية، لأنها تسعى إلى تفكيك الأنساق المضمرة المتحكمة في الثقافة المهيمنة وتعرية تحيّزاتها الإيديولوجية، إذ يفهم منها أنّ الهوية تمثل بؤرة مركزية في السرد النسوي، سواء على مستوى التجربة التي تحيل عليها الحكاية التي تميّزت بالعنف والتهميش الاجتماعي، أو على مستوى التمثيل، أو على مستوى التخييل السردي الذي يتمثل بالبحث عن هوية بديلة متحررة من سلطة أشكال التمثيل الذكورية المهيمنة [29]، مثال ذلك ما جاء في رواية "عرش معشق" **لربيعة جلطي** تقول فيها:

([26]) ينظر، م نفسه، ص136.

([27]) ينظر، فريد الزاهي، النص والجسد والتأويل، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 2003، ص25.

([28]) ينظر، محمد بوعزة، تمثلات الهوية الأنثوية في رواية دنيا لعلوية صبح،التبيين، ع20، ربيع 2017، ص 35.

([29]) ينظر، المرجع نفسه، ص 30- 32.

"مليكة ليست مثل الأنثى الشهية والمثيرة فحسب، ولكنها الجبارة العاتية، تنظر في عمق عينيك الواحدة بعد الأخرى، فتشلك، وكأنها تطل من خلالهما على ما يدور في جمجمتك، التي تصبح قشرتها شفافة فجأة، إنها القوامة عليك، قبالتها لن تشعر بلذة الجبار وبأنك الذكر المبجل وأن عليك بالمبادرة أولا، بل تحس أنها قائدتك، وهي القابضة على حبل عنقك إذا ما اشتهتك، تمد يدها مقهقهة حيث ما شاءت فتجد نفسك تحاول أن نفسك وشرفك، تهجم بجسدها المشتعل عليك، تدفعك بثقل صدرها حتى تركنك في الزاوية، ترمي بشرارتها عليك، تسحقك، تحرقك، كل ذلك وهي منفرجة الأسارير تبتسم بمكر وساخرة، تتلذذ برؤية ملامحك تتبدل وتتلون وتتحول وهي العارفة بالمراحل التي ستطويك"[30].

تسعى الكاتبة من خلال هذا المشهد السردي إلى تقديم رؤية جديدة وفق متخيل أنثوي لا يعني انتهاك الواقع بقدر ما يعني تجسيد هذا الواقع من منظور مختلف يخرج عن المعهود، فقيمة النص لا تكمن في مرجعيته، وإنما في طاقته على تغيير الدلالات الأصلية المشحونة فيه [31]، وذلك من خلال تقديم صورة المرأة القوية والمسيطرة والمتحكمة في حديثها عن العلاقة التي تجمع مليكة بعبدقا، فالكاتبة عبر هذا التوجه الجديد في انتهاك الواقع إنما تريد أن تظهر نقطة التحول لدى المرأة من السلب إلى الإيجاب، ومن الظلم إلى الانتفاض، وإخراج صورة المرأة من الغياب إلى الظهور، فالأكيد أن المرأة بحثت عن أهم ركيزة لها وهي الهوية، ولم تطالب إلى وقت قريب إلا بها، لأنها تسعى إلى إثبات وجودها، وهنا نقف عند مسألة مهمة وهي أن« العقل وحده لا يمكن أن يحافظ على الهوية أو أن يثيرها إذا لم تقترن بالرغبة في الوجود»[32]، ولا يمكن للمرأة أن تحقق ذلك إلا« بهدم الخطاب التقليدي للمجتمع وإيديولوجيته، وذلك من خلال تحطيم الصورة التقليدية للمرأة التي يتبناها هذا المجتمع» [33]، ونقصد هنا بالتحديد صورة الخضوع للرجل ولرغباته.

([30]) ربيعة جلطي، عرش معشق، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013، ص123/122.

([31]) ينظر، سمير مرزوقي، جميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة(تحليلا وتطبيقا)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، دط، دت، ص118.

([32]) رضا عزوز، الهوية والوجود، ضمن ندوة وطنية حول: الهوية والتقدم، جامعة الزيتونة، المعهد الأعلى لأصول الدين، تونس، أفريل1993، ص38.

([33]) سوسن ناجي، صورة الرجل في القصص النسائي، ص58،

بناء على هذا، يمكن القول أن المرأة الكاتبة أصبحت تمتلك الوعي الكافي من خلال إدراكها أن تحررها الفعلي لا يمكن له أن يتحقق إلا بتجاوز وتخطي الصورة النمطية والتقليدية المحددة للمرأة سلفاً من قبل الثقافة الذكورية إلى صورة جديدة عن الذات يُنتجها متخيل قادر على تشكيل نسق جمالي جديد للهوية الأنثوية، وفي هذا السياق يؤكد **بوشوشة بن جمعة** على أن « سعي كاتبات الرواية إلى استعادة هويتهن الأنثوية عبر فعل الكتابة الذي يسمح لهن بإعادة تشكيل كيان الأنثى تشكيلاً جديداً يتأسس على رؤية جديدة للمرأة، يتم عبر فعل التخييل»[34]، هذا الأخير الذي يعد في عرف الدارسين انتهاكا للواقع .

الخاتمة:

إن المرأة الكاتبة تسعى من وراء فعل الكتابة إلى خلق التمايز على مستوى الهوية الثقافية كما وعلى مستوى الهوية الجنسية، وذلك من خلال تقديم رؤيتها الأنثوية للذات وللعالم من حولها مستندة في ذلك على الفكر النسوي وفرضياته وتصوراته ومقولاته، خاصة وأن السرد النسوي يسعى في المقام الأول إلى بلورة مفاهيم الأنوثة ونقد النظام البطرياركي[35]، وقد تأتى لها ذلك عبر اعتماد خطاب التذويت الذي تعلي فيه من ذاتها الأنثوية، فضلا عن الكتابة بالجسد الذي يعد مادة حكائية خصبة من شأنها ان تعيد الاعتبار لإنسانية المرأة بالإضافة إلى اعتمادها أسلوب الهدم أي هدم الخطابات الذكورية مستمدة أفكارها من الخطابات النسوية التحررية لتشكيل هوية أنثوية لا تقل شأنا عن الهوية الذكورية.

---

[34] بوجمعة بوشوشة، الرواية النسائية التونسية (أسئلة التحول، الحداثة، والخصوصية)، ص55.

([35])ينظر، عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، ص248/247.